Open Access

مظاهر وصور لتعظيم الكعبة المشرفة في الإسلام

محب الله صافي [1]* ; محمد محسن أيوبي [1]; زاهدالله زاهد[1]

[1]قسم الثقافة والعلوم الإسلامية، كلية التعليم و التربية، جامعة قندوز، أفغانستان

Manifestations and forms of the glorification of Kaaba in Islam

Muhibullah Safi [1*]; Muhammad Muhsin [1]; Zahidullah Zahid[1]

[1]Department of Culture and Islamic Sciences, Faculty of Education, Kunduz University, Afghanistan

[1]Corresponding Email (با المؤلف المؤل) : abualias.safi1970@gmail.com Phone Number : +93749078000

Article History:
Received: 24. 04.2024
Accepted: 12. 05.2024
Online First: 28. 07.2024

Citation:
Safi, M et al. (2024). *Manifestations and forms of the glorification of Kaaba in Islam . Kdz Uni Int J Islam Stud and Soc Sci*, 1:44-54

االاقتباس:
صافی، محب الله و زملاؤه. (2024) مظاهر وصور لتعظيم الكعبة المشرفة في الإسلام. المجلة الدولية للدراسات الإسلامية والعلوم الاجتماعية لجامعة قندوز، 1 : **44-54**

This is an open access article under the Higher Education license

Copyright:© 2024 Published by Kunduz Universty.

Abstract

The Kaaba is the first house placed by Allah on Earth for people toworship Him alone, and it serves as their direction in prayer. Muslims face it during their prayers and supplications, visit it, perform Hajj and Umrah to it, and circumambulate around it. It is a blessed house that Allah honored, dignified, and added to His own sanctity. Macca, which houses this sacred house, is a holy land where no blood is shed, no trees are cut, no animals are hunted, and nothing is picked up except by those who intend good. It has been a sacred land since Allah created the heavens and the earth, sanctifying His house which its surroundings encompass. It is the most sacred place on Earth, and thus Allah has commanded people to come to the Kaaba for Hajj and Umrah to witness benefits for themselves. This visitation is obligatory upon capable Muslims. Anyone who intends harm to this house will taste Allah's punishment. It is protected by Allah's safeguard until the Day of Judgment when Allah will inherit the earth and all upon it. This article elucidates some aspects and forms of Islam's glorification of the Kaaba

Keywords: Hajj, Mecca, prayer, Qibla for Muslims, the Kaaba.

الملخص

{إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} الكعبة المشرّفة هي أول بيت وضعه الله للناس في الأرض ليعبدوا الله عزّ وجلّ عنده، ويكون قبلة لهم يصلون إليها، ويستقبلونها في صلواتهم وأدعيتهم، ويأتون لزيارتها، ويُحجّون إليها، ويطوفون حولها، فهو بيت مباركٌ أضافه الله تعالى إلى نفسه الشريفة إكرامًا وتعظيمًا وتشريفًا، وجعل مكة المكرمة التي تضمُّ هذا البيت بلدًا حرامًا لا يسفك بها دم، ولا يعضد شجرها، ولا يُختل خلاها، و لا يُنفر صيدها، ولا يُلتقط لُقطتها إلا لمنشد، فهي بلد حرام من يوم أن خلق الله السماوات والأرض تعظيمًا لحُرمة بيته الذي ستتضمّه جنباتها، وهي أفضل بقاع الأرض على الإطلاق؛ لذلك أمر الله الناسَ أن يأتوا الكعبة المشرفة بحجّ وعمرة؛ ليشهدوا منافع لهم، وجعل هذا الاتيان فرضًا وحتمًا على المسلم المستطيع القادر، وكل من أراد هذا البيت بشرّ وسوء، أذاقه الله من أنواع الذلّ والهوان، فهو محميّ بحماية الله عزّ وجلّ له إلى قرب قيام الساعة حتى يرث الله الأرض ومن عليها، ففي هذا المقال بيانٌ لبعض مظاهر و صوَر من تعظيم الإسلام للكعبة المشرفة

الكلمات المفتاحية: الحج الصلاة ، الكعبة المشرفة ، قبلة المسلمين ، مكة المكرمة.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:فإن المتأمل في كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم يجد أن الشريعة راعت حرمة الأزمنة والأمكنة، وحفظت لكل شعيرة من الشعائر مكانتها ومزيتها، وفارقت بين الشعائر في مقدار الحرمة وحجمها، والتهويل في شأنها والتشديد عليها؛ كما خففت في البعض الآخر، كما لو همَّ الإنسان بمعصية في بيت من بيوت الله ولم يفعلها كتبها الله له حسنة كما جاء في الصحيح؛ ولكنه إذا همَّ بنفس المعصية في بيت الله الحرام عاقبه الله وأذاقه العذاب الأليم {وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} [الحج: 25]. والمتأمل في مكانة بيت الله الحرام؛ يرى أن له مكانة عظيمة في دين الإسلام، مستمداً هذه العظمة من كتاب الله، ومن سنة رسوله – صلى الله عليه وسلم- قال الله { إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين * فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً، ومن كفر فإن الله غني عن العالمين} وروى البخاري من حديث أبي ذر رضي الله عنه، قال: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الأَرْضِ أَوَّلُ؟ قَالَ «الْمَسْجِدُ الحَرَامُ» ، قَالَ : قُلْتُ : ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ «الْمَسْجِدُ الأَقْصَى»، قُلْتُ كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ «أَرْبَعُونَ سَنَةً، ثُمَّ أَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلاَةُ بَعْدُ، فَصَلِّهْ، فَإِنَّ الْفَضْلَ فِيهِ».(البخاري،1997. رقم الحديث, 3366). والصلاة في المسجد الحرام خير من مائة ألف صلاة فيما سواه، فقد روى البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام» ورواه ابن ماجة وزاد: « ...وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه» وصححه الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير. وكذلك شدّ الرحال لا يجوز إلا إلى المساجد الثلاثة وأول هذه المساجد مسجد الكعبة المشرفة فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « لا تشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، ومسجد الأقصى».

وقد أكد النبي صلى الله عليه وسلم هذا التعظيم في قصة سَيرِه إلى مكة المكرمة عام الفتح، عند مابلغه مقالة سعد بن عُبادة: الْيَوْمَ يَوْمُ الْمَلْحَمَة –أي يوم حرب وقتل– الْيَوْمَ تُسْتَحَلُّ الْكَعْبَةُ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «كَذَبَ سَعْدٌ وَلَكِنْ هَذَا يَوْمٌ يُعَظِّمُ اللَّهُ فِيهِ الْكَعْبَةَ وَيَوْمٌ تُكْسَى فِيهِ الْكَعْبَة». ومن تعظيم الصحابة للكعبة قول ابن عمر – رضي الله عنهما – لما نَظَرَ يَوْمًا إلى الْكَعْبَةِ فقال: "ما أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَك وَالْمُؤْمِنُ أَعْظَمُ حُرْمَةً عِنْدَ اللَّهِ مِنْك" رواه الترمذي وحسّنه. وما زالت الكعبةُ المشرفة معظَّمةً مكرَّمة في نفوس المؤمنين فِطرةً ودِيانةً منذ بناها خليل الله إبراهيم عليه السلام؛ فطرةً بما أودعه الله في القلوب من حب الكعبة، وتعظيمها، واشتياق الأرواح إليها، وديانةً بما أمر الله تعالى به المؤمنين من تعظيمها وإجلالها، وبما ارتبط بها من شعائر تعبديَّة من صلاةٍ يتَّجه فيها المسلمون بقلوبهم وأجسادهم نحوها، وبحجٍّ يتكبَّد فيه المسلمون المشاقَّ والمتاعب على حبٍّ؛ ليؤدُّوا المناسك كما أمرهم الله تعالى في صورةٍ تُبهر العالمَ أجمع بشكلها الجماعي، وباتِّحاد المسلمين تحت لواءٍ واحد على اختلاف أجناسهم وألوانهم، وإلى يومنا هذا والكعبة معظمة مشرفة من قبل عموم المسلمين، والحمد لله رب العالمين.

مكانة الدراسة وأهميتها

يتضح من خلال الدراسة أن للكعبة المشرفة مكانة عظيمة في الإسلام، فهو أول بيت وضع في الأرض لعبادة الله عزّ وجلّ، وهو أفضل بقاع الأرض على الإطلاق، والكعبةَ الشريفة قبلة المسلمين في صلواتهم، فلا تصح الصلاة إلا باستقبال القبلة، وعلى كل مسلم أن يتوجه في صلاته إليها، فهي جامعة لقلوب كل المسلمين، ورمز لوحدتهم، وموحِّدة لأنظارهم وتوجهاتهم. كما أن الركن الخامس من أركان الإسلام هو حج بيت الله الحرام، فالمستطيعون من المسلمين في جميع أنحاء العالم يتوجهون إلى بيت الله الحرام لأداء مناسك الحج والعمرة، ويطوفون حول الكعبة المشرفة على أمل أن يتجاوز الله عنهم ويكفر عنهم سيّئاتهم، فهي مهوى أفئدة المسلمين ومحل رغبتهم، بل جميع المسلمين يشتاقون إلى زيارة بيت الله الحرام، ويتمنّون أن يوفقهم الله لزيارة بيته المعظم، ويلتجئون إلى الله عزّ وجل أن يمُنّ عليهم بزيارة بيت الله الحرام. فالكعبة المشرفة لها مكانة عالية في قلوب المسلمين، تحنّ إلى زيارتها قلوب الفقراء قبل الأغنياء، وتهفو إليها قلوب جميع المسلمين، بل ينتظر بعض أغنياء المسلمين سنوات عديدة حتى يتسنّى لهم الفرصة لزيارة الحرمين الشريفين، ويأتي دورهم على فريضة الحج، فزيارة بيت الله الحرام أمنية المسلمين وأمل قلوبهم.

منهج البحث:

1- هذه الدراسة دراسة وصفية تحليلية، مع مراعاة الأمانة العلمية والقواعد المرعية.

2- اعتمدت في جمع المادة العلمية على المصادر الأصلية، والمراجع الثانوية الموثوقة.

3- راجعت المكتبة الالكترونية والانترنت عند الحاجة.

4- عزوت كل آية إلى موضعها في كتاب الله بذكر اسم السورة ورقم الآية.

5- خرّجت الأحاديث مع بيان حكمها إذا لم تكن في الصحيحين.

6- ذكرت أقوال العلماء، وعزوت كل قول إلى قائله مع بيان المصدر.

7 - اعتمد في تفسير آيات القرآن الكريم على تفسير ابن كثير في الغالب.

مظاهر وصور لتعظيم الكعبة المشرفة في الإسلام

ورد في كتاب الله تبارك وتعالى، وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي تاريخ الإسلام مظاهر وصور لتعظيم الكعبة المشرفة ومكانتها في الإسلام، سأذكر بعضا منها:

1- **إنه أول بيت وضع في الأرض لعبادة الله تبارك وتعالى** قال الله تعالى: { إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (96) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} [آل عمران: 96، 97]. قال ابن كثير رحمه الله : يخبر تعالى أن أول بيت وضع للناس أي: لعموم الناس، لعبادتهم ونسكهم، يطوفون به ويصلون إليه ويعتكفون عنده{لَلَّذِي بِبَكَّةَ}يعني:الكعبة التي بناها إبراهيم الخليل عليه السلام الذي يزعم كل من طائفتي النصارى واليهود أنهم على دينه ومنهجه، ولا يحجون إلى البيت الذي بناه عن أمر الله له في ذلك ونادى الناس إلى حجه، ولهذا قال تعالى: {مُبَارَكًا} أي وضع مباركا {وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ}(ابن كثير , 1994م. ج1 ص499). وقال أيضًا عند قوله تعالى: {وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ} [الحج: 26] قال: هذا فيه تقريع وتوبيخ لمن عبد غير الله، وأشرك به من قريش، في البقعة التي أسست من أول يوم على توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، فذكر تعالى أنه بوّأ إبراهيمَ مكانَ البيت، أي: أرشده إليه، وسلَّمه له، وأذن له في بنائه، واستدل به كثير ممن قال: "إن إبراهيم، عليه السلام، هو أول من بنى البيت العتيق، وأنه لم يبن قبله" كما ثبت في الصحيحين عن أبي ذر رضي الله عنه(ابن كثير , 1994م. ج3 ص288). وعن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الأَرْضِ أَوَّلُ؟ قَالَ «الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ» قَالَ : قُلْتُ : ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ «الْمَسْجِدُ الأَقْصَى»، قُلْتُ كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ «أَرْبَعُونَ سَنَةً، ثُمَّ أَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلاَةُ بَعْدُ، فَصَلِّهْ، فَإِنَّ الْفَضْلَ فِيهِ.» (البخاري, 1997م. رقم الحديث,3366). قال الحافظ ابن حجر: وهذا الحديث يفسر المراد بقوله تعالى { إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ...} ويدل على أن المراد بالبيت بيت العبادة لا مطلق البيوت وقد ورد ذلك صريحا عن علي- رضي الله عنه- أخرجه إسحاق بن راهويه وابن أبي حاتم وغيرهما بإسناد صحيح عنه أنه قال: كانت البيوت قبله، ولكنه كان أول بيت وضع لعبادة الله .(ابن حجر , 1988م. ج6 ص470).

قال ابن كثير: وزعم السدي: أنه أول بيت وضع على وجه الأرض مطلقا، والصحيح قول علي رضي الله عنه: أن المراد أول بيت وضع للعبادة.(ابن كثير , 1994م. ج1 ص499). وقوله صلى الله عليه وسلم:(ثُمَّ أَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلاَةُ بَعْدُ، فَصَلِّهْ) أي فصلِّ والهاء هاء السكتة (فَإِنَّ الْفَضْلَ فِيهِ) أي فعل الصلاة إذا حضر وقتها، فإن الأرض كلها مسجد، وصالحة للصلاة فيها.(ابن حجر , 1988م. ج6 ص471). وقد أورد الحافظ ابن حجر هاهنا إشكالا: كيف يكون بين بناء المسجد الحرام وبناء المسجد الأقصى أربعون سنة، وبين إبراهيم عليه السلام باني الكعبة، و سليمان عليه السلام باني المسجد الأقصى مدة تزيد على ألوف السنين؟. وأجاب بما ملخصه: بأن سليمان عليه السلام ليس أول من بنى بيت المقدس، بل يشبه أن يكون أول من بنى المسجد الأقصى بعض أولياء الله، ويكون داود وسليمان عليهما السلام قاما بتجديد بنائه وتشييده. (ابن حجر , 1988م ج6

ص‌ص 470, 471). ورجح ابن كثير أن مؤسس المسجد الأقصى يعقوب عليه الصلاة والسلام حفيد إبراهيم عليه الصلاة والسلام كما نطقت بذلك الكتب المتقدمة، ويؤيده حديث أبي ذر المذكور.(ابن كثير, 1994م. ج1 ص,245).

2- **الكعبة المشرفة هي قبلة المسلمين في صلاتهم** فلا تصح الصلاة إلا باستقبال القبلة، وعلى كل مسلم أن يتوجه في صلاته إليها، فهي جامعة لقلوب كل المسلمين، وموحّدة لأنظارهم وتوجهاتهم قال الله تبارك وتعالى: {قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ} [البقرة: 144] وقال تعالى: {وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (149) وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} [البقرة: 149، 150] ففي هذه الآيات يأمر الله تبارك وتعالى نبيَّه محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بأن يتوجهوا في صلواتهم إلى الكعبة المشرفة، حيث كانوا قبل ذلك يصلون إلى جهة بيت المقدس، فعَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ أَنْ يُوَجَّهَ إِلَى الْكَعْبَةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ{قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ}فَتَوَجَّهَ نَحْوَ الْكَعْبَةِ وَقَالَ السُّفَهَاءُ مِنْ النَّاسِ وَهُمْ الْيَهُودُ: {مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} فَصَلَّى مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ، ثُمَّ خَرَجَ بَعْدَ مَا صَلَّى فَمَرَّ عَلَى قَوْمٍ مِنْ الْأَنْصَارِ فِي صَلَاةِ الْعَصْرِ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَقَالَ: هُوَ يَشْهَدُ أَنَّهُ صَلَّى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّهُ تَوَجَّهَ نَحْوَ الْكَعْبَةِ، فَتَحَرَّفَ الْقَوْمُ حَتَّى تَوَجَّهُوا نَحْوَ الْكَعْبَةِ.(البخاري,1997م. رقم الحديث,399).

و لما وصل حكم التوجه إلى الكعبة الشريفة إلى الصحابة رضي الله عنهم في مسجد قباء، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المسلمون في المدينة المنورة صلوا إلى جهة الكعبة الشريفة، استدار أهل قباء إلى الكعبة الشريفة أثناء الصلاة، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ بَيْنَمَا النَّاسُ فِى صَلاَةِ الصُّبْحِ بِقُبَاءٍ إِذْ جَاءَهُمْ آتٍ فَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– قَدْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ اللَّيْلَةَ قُرْآنٌ، وَقَدْ أُمِرَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الْكَعْبَةَ فَاسْتَقْبِلُوهَا، وَكَانَتْ وُجُوهُهُمْ إِلَى الشَّامِ فَاسْتَدَارُوا إِلَى الْكَعْبَةِ. (البخاري,1997م. رقم الحديث,403). وكذلك المسلمون في مسجد بني سلمة (ويُعرف الآن بمسجد قبلتين) لما وصلهم الخبر، استداروا إلى الكعبة الشريفة أثناء صلاتهم، فعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– كَانَ يُصَلِّى نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَنَزَلَتْ (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ بَنِى سَلِمَةَ وَهُمْ رُكُوعٌ فِى صَلاَةِ الْفَجْرِ وَقَدْ صَلَّوْا رَكْعَةً، فَنَادَى: أَلاَ إِنَّ الْقِبْلَةَ قَدْ حُوِّلَتْ، فَمَالُوا كَمَا هُمْ نَحْوَ الْقِبْلَةِ. (النيسابوري,1987م. ج5 ص11). قال ابن كثير: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بمكةَ إلى بيت المقدس والكعبةُ بين يديه، فلما قدِم المدينة وُجّه إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا، أو سبعة عشر شهرًا، ثم صرفه الله إلى الكعبة بعدُ. (ابن كثير,1994م. ج1 ص208). وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: كان أول ما نسخ من القرآن القبلة، وذلك أن رسول صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة –وكان أهلُها اليهودَ–أمره الله أن يستقبل بيت المقدس، ففرحت اليهود فاستقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة عشر شهرا، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب قبلة إبراهيم، فكان يدعو وينظر إلى السماء، فأنزل الله:{ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ [فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا] } إلى قوله:{ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ } فارتاب من ذلك اليهود، وقالوا: ما ولّاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها، فأنزل الله: {قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ [يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ] } وقال: { فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ }. (ابن كثير, 1994م. ج1 ص209).

قال ابن كثير: وقد جاء في هذا الباب أحاديثُ كثيرة، وحاصلُ الأمر: أنه قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أُمِرَ باستقبال الصخرة من بيت المقدس، فكان بمكة يُصَلِّي بين الركنين، فتكون بين يديه الكعبة وهو مستقبل صخرة بيت المقدس، فلمّا هاجر إلى المدينة تَعَذَّر الجمعُ بينهما، فأمره الله بالتوجه إلى بيت المقدس، قاله ابن عباس والجمهور، ثم اختلف هؤلاء هل كان الأمر به بالقرآن أو بغيره؛ على قولين، وحكى القرطبي في تفسيره عن عكرمة وأبي العالية والحسن البصري أن التوجه إلى بيت المقدس كان باجتهاده عليه الصلاة والسلام، والمقصود أن التوجه إلى بيت المقدس بعد

مقدمه صلى الله عليه وسلم المدينة، فاستمرَّ الأمرُ على ذلك بضعة عَشَرَ شهراً، وكان يكثر الدعاءَ والابتهالَ أنْ يُوَجَّه إلى الكعبة، التي هي قبلة إبراهيم، عليه السلام، فأجيب إلى ذلك، وأمر بالتوجّه إلى البيت العتيق، فخطب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الناس، وأعلمهم بذلك، وكان أول صلاة صلاها إليها صلاة العصر، كما تقدم في الصحيحين من رواية البراء، ووقع عند النسائي من رواية أبي سعيد بن المعلى: أنها الظهر.

قال ابن كثير: وأما أهل قُبَاء، فلم يبلغهم الخبر إلى صلاة الفجر من اليوم الثاني، كما جاء في الصحيحين، عن ابن عمر أنه قال: بينما الناس بقباء في صلاة الصبح، إذ جاءهم آت فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل الكعبة، فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة. قال: ولما وقع هذا حصل لبعض الناس –من أهل النفاق والريب والكفرة من اليهود –ارتياب وزيغ عن الهدى وتخبيط وشك، وقالوا: { مَا وَلاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا } أي: ما لهؤلاء تارة يستقبلون كذا، وتارة يستقبلون كذا؟ فأنزل الله جوابهم في قوله: { قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ } أي: الحكم والتصرف والأمر كله لله، وحيثما تولوا فثمَّ وجه الله، و{ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ } [البقرة : 177] أي: الشأن كله في امتثال أوامر الله، فحيثما وجهنا توجهنا، فالطاعة في امتثال أمره، ولو وجهنا في كل يوم مرات إلى جهات متعددة، فنحن عبيده وفي تصريفه وخُدَّامُه، حيثما وجَّهَنا توجهنا، وهو تعالى له بعبده ورسوله محمد –صلوات الله وسلامه عليه –وأمّتِه عناية عظيمة؛ إذ هداهم إلى قبلة إبراهيم خليل الرحمن، وجعل توجههم إلى الكعبة المبنية على اسمه تعالى وحده لا شريك له، أشرف بيوت الله في الأرض، إذ هي بناء إبراهيم الخليل عليه وعلى نبيّنا الصلاة والسلام.(ابن كثير, 1994م. ج1 ص ص249, 250).

3 **- إن الله عز وجل أمر إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة و السلام بتطهير البيت،** والقيام على خدمته ليكون موئلاً للطائفين والعاكفين، والركع السجود قال الله عز وجل: {وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ } [البقرة: 125] وقال تعالى: {وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ} [الحج: 26] ليقوم الناس بعبادة الله تعالى عنده، بأداء الصلاة والمناسك فيه، ونحوه من سائر بقاع الأرض بكونه قِبلةَ صلاتِهم ووِجهتِها، وهذا التطهير يشمل التطهير من الأوساخ والأدران والشرك، وغير ذلك، كما نقل ذلك ابن كثير عن الحسن البصري، ومجاهد بن المكي، وسعيد ابن جبير رحمة الله على الجميع، قال ابن كثير: قال الحسن البصري: أمرهما الله أن يطهراه من الأذى والنجس ولا يصيبه من ذلك شيء. وقال مجاهد وسعيد بن جبير: {طهرا بيتي للطائفين} إن ذلك من الأوثان والرفث وقول الزور والرجس.(ابن كثير, 1994م. ج1 ص,226). وقال ابن جرير رحمه الله: معنى الآية: وأمرنا إبراهيم وإسماعيل بتطهير بيتي للطائفين، والتطهير الذي أمرهما به في البيت هو تطهيره من الأصنام وعبادة الأوثان فيه ومن الشرك.(ابن كثير, 1994م. ج1ص,227) وتطهير المساجد مأخوذ من هذه الآية الكريمة، ومن قوله تعالى: {فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ}[النور: 36] ومن السنة من آحاديث كثيرة تأمر بتطهير المساجد وتطييبها، مثل حديث عائشة رضي الله عنها قالت:«أَمَرَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِبِنَاءِ الْمَسَاجِدِ فِي الدُّورِ وَأَنْ تُنَظَّفَ وَتُطَيَّبَ».(السجستاني,1417هـ. رقم الحديث, 455). قال الملا علي القاري في شرح هذا الحديث: « الدُّورِ » جمع دار، وهو اسم جامع للبناء والعرصة والمحلة، والمراد المحلات فإنهم كانوا يسمون المحلة التي اجتمعت فيها قبيلة دارا، « وَأَنْ تُنَظَّف » أي تطهّر والمراد تنظيفها من والسخ والدنس والنتن والتراب «وَتُطَيَّبَ» أي بالرش أو العطر.(القاري,1992م. ج 2 ص,420).

4– **إن الله تبارك تعالى أضاف البيت إلى نفسِه الشريفة،** فقال**:** ﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ ﴾ [البقرة: 125] وقال: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ ﴾ [الحج: 26] ولو لم يكن له من الشرف إلاَّ إضافته إلى نفسه عز وجل، لكفى بتلك الإضافة فضلاً وشرفاً، وهاتيك الإضافة هي التي أقبلت بقلوب العالمين إليه، وسلبت نفوسهم حباً له، وشوقاً إلى رؤيته، فهو المثابة للمحبين يثوبون إليه، ولا يقضون منه وطراً أبداً، كلَّما ازدادوا له زيارة؛ ازدادوا له حباً وإليه اشتياقاً فلا الوصال يشفيهم، ولا البعاد يسليهم، قال القرطبي: أضاف البيت إلى نفسه إضافة تشريف وتكريم، وهي إضافة مخلوق إلى خالق، ومملوك إلى مالك.(القرطبي, 2006م. ج 2 ص,377) .

5– **الصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة صلاة فيما سواه من المساجد** فقد روى البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ » (البخاري, 1997م. رقم

الحديث, 1190). وروى ابن ماجة من حديث جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: « صلاةٌ في مسجدي أفضلُ مِن ألفِ صلاةٍ فيما سِواهُ إلا المسجدَ الحرامَ، وَصَلاةٌ في المسجدِ الحرامِ أفضلُ مِن مائةِ ألفِ صلاةٍ فيما سِواه.» (القزويني,(ب ت). رقم الحديث,1406) وصححه الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه التلخيص الحبير. (ابن حجر, 1994م. ج4 ص, 179). هذا هو الثابت عند المحدثين بأن فضل الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، وفضل الصلاة في المسجد النبوي بألف صلاة فيما سواه، أما مارواه ابن ماجة من حديث حديث أنس مالك رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسول الله صلى الله عليه وسلم: «صلاةُ الرَّجلِ في بيتِه بصلاةٍ، وصلاتُه في مسجدِ القبائل بخمسٍ وعشرينَ صلاةً، وصلاتُه في المسجد الذي يُجمَع فيه بخمسمائة صلاةٍ، وصلاتُه في المسجدِ الأقصى بخمسينَ ألفَ صلاةٍ، وصلاتُه في مسجدي بخمسينَ ألف صلاةٍ، وصلاتُه في المسجدِ الحرامِ بمائةِ ألف صلاةٍ»(القزويني,(ب ت).رقم الحديث,1413).فهو حديث ضعيف ضعّفه الحافظ ابن حجر العسقلانى.(ابن حجر,1994م. ج4 ص, 179). نعم روى الهيثمي في المجمع الزوائد عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الصَّلَاةُ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بِمِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ، وَالصَّلَاةُ في مسجدي بِأَلْفِ صَلَاةٍ، وَالصَّلَاةُ فِي بيت المقدس بخمسمائة صَلَاةٍ.» وقال: رواه الطبراني في الكبير، ورجاله ثقات، وفي بعضهم كلام، وهو حديث حسن.(الهيثمي, 1988م. ج4 ص,7) فهو حديث حسن حسّنه الهيثمي والبزار، وهو يوافق ما ورد في فضل الصلاة في المسجد الحرام، والمسجد النبوي من الأحاديث الصحيحة، ويزيد عليها وهي: أن فضل الصلاة بالمسجد الأقصى بخمسمائة صلاة فيما سواه. (بن حجر العسقلاني,1988م. ج3 ص,81).

6- **ومن مميزات الكعبة الشريفة اختصاص المسجد الحرام بشدِّ الرِّحال إليه** ؛ لما روى البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى» (البخاري,1997م.رقم الحديث,1189) وفي لفظ لمسلم: « إِنَّمَا يُسَافَرُ إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِ الْكَعْبَةِ، وَمَسْجِدِي، وَمَسْجِدِ إِيلِيَاءَ »(النيسابوري,1987م. ج9 ص,168). وقوله صلى الله عليه وسلم «لا تُشَدُّ الرِّحَال» الرِّحال جمع رَحْل، وهو للبعير كالسرج للفرس، وشَدُّه كناية عن السفر، أي لا يسافر بقصد العبادة والصلاة فيها، من بين المساجد إلا إلى ثلاثة مساجد، أما السفر للعلم وزيارة العلماء والصلحاء وللتجارة ونحو ذلك فغير داخل في المنع، قال النووي: فيه بيان عظيم فضيلة هذه المساجد الثلاثة ومزيتها على غيرها ؛ لكونها مساجد الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، ولفضل الصلاة فيها، واختلف العلماء في شدّ الرحال وإعمال المطيّ إلى غير المساجد الثلاثة ، فقال الشيخ أبو محمد الجويني من أصحابنا: هو حرام وهو الذي أشار القاضي عياض إلى اختياره، والصحيح عند أصحابنا وهو الذي اختاره إمام الحرمين والمحققون: أنه لا يحرم ولا يكره قالوا والمراد: أن الفضيلة التامة إنما هي في شد الرحال إلى هذه الثلاثة خاصة والله أعلم. ثم قال: وفي هذا الحديث فضيلة هذه المساجد الثلاثة، وفضيلة شدّ الرحال اليها.(النووي,1987م. ج9 ص 106، 168).

7- **إن الله تعالى حرَّم مكة يوم خلق السماوات والأرض**؛ تعظيمًا لحُرمة بيته الذي ستضمُّه جنباتها، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة: «إِنَّ هَذَا الْبَلَدَ حَرَّمَهُ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّهُ لَمْ يَحِلَّ الْقِتَالُ فِيهِ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَلَمْ يَحِلَّ لِي إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لَا يُعْضَدُ شَوْكُهُ، وَلَا يُنَفَّرُ صَيْدُهُ، وَلَا يَلْتَقِطُ لُقَطَتَهُ إِلَّا مَنْ عَرَّفَهَا، وَلَا يُخْتَلَى خَلَاهُ» فَقَالَ الْعَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا الْإِذْخِرَ فَإِنَّهُ لِقَيْنِهِمْ وَلِبُيُوتِهِمْ، قَالَ: «إِلَّا الْإِذْخِرَ» وهو حديث متفق عليه رواه البخاري برقم (3189) ورواه مسلم في كتاب الحج، باب تحريم مكة.(الشربيني,(ب ت). صص 123 و126).

وقوله صلى الله عليه وسلم: « لَا يُعْضَدُ » أي لا يقطع والعضد القطع « وَلَا يُخْتَلَى خَلَاهُ» الخلا هو الرطب من الكلأ، ومعنى يختلى: يؤخذ ويقطع « الْإِذْخِرَ » الإذخر نبت معروف طيب الرائحة « لِقَيْنِهِمْ وَلِبُيُوتِهِمْ » القين هو الحداد والصائغ، ومعناه يحتاج إليه القين في وقود النار، ويحتاج إليه في القبور لتسدّ به فرج اللحد المتخللة بين اللبنات، ويحتاج إليه في سقوف البيوت يجعل فوق الخشب.(النووي,1987م. ج9 ص ص 126, 127).وروى مسلم من حديث أبي شريح العدوي رضي الله عنه أنه قال لعمرو بن سعيد (أمير المدينة في خلافة يزيد) وهو يبعث البعوث إلى مكة (لقتال عبد الله بن الزبير) : ائْذَنْ لِي أَيُّهَا الأَمِيرُ أُحَدِّثْكَ قَوْلاً قَامَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– الْغَدَ مِنْ يَوْمِ الْفَتْحِ سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ وَوَعَاهُ قَلْبِي

وَأَبْصَرَتْهُ عَيْنَاىَ حِينَ تَكَلَّمَ بِهِ أَنَّهُ حَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ « إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللَّهُ وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ فَلاَ يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا وَلاَ يَعْضِدَ بِهَا شَجَرَةً فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ بِقِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– فِيهَا فَقُولُوا لَهُ إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لِرَسُولِهِ وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ وَإِنَّمَا أَذِنَ لِى فِيهَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ وَقَدْ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالأَمْسِ وَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ ».(النيسابوري,1987م. ج9 ص ص 127, 128). فهذه الأحاديث وما في معناها تدل على أن الله حرّم مكة قبل خلق السماوات والأرض، وقد وردت أحاديث أخرى تدل على أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام حرّم مكة ودعا لأهلها، منها: ما رواه البخاري من حديث عبد الله بن زيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم:«أَنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ وَدَعَا لَهَا، وَحَرَّمْتُ الْمَدِينَةَ كَمَا حَرَّمَ إِبْرَاهِيمُ مَكَّةَ وَدَعَوْتُ لَهَا فِي مُدِّهَا وَصَاعِهَا مِثْلَ مَا دَعَا إِبْرَاهِيمُ لِمَكَّةَ».(البخاري,1997م. رقم الحديث ,2129). ورواه مسلم بلفظ:« إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ وَدَعَا لأَهْلِهَا، وَإِنِّى حَرَّمْتُ الْمَدِينَةَ كَمَا حَرَّمَ إِبْرَاهِيمُ مَكَّةَ، وَإِنِّى دَعَوْتُ فِى صَاعِهَا وَمُدِّهَا بِمِثْلَىْ مَا دَعَا بِهِ إِبْرَاهِيمُ لأَهْلِ مَكَّةَ». (النيسابوري,1987م. ج9 ص ص134, 135).

قال النووي: الأحاديث الواردة في الباب في ظاهرها الاختلاف وفي المسألة خلاف مشهور ذكره الماوردي في الأحكام السلطانية، وغيره من العلماء في وقت تحريم مكة، فقيل: إنها ما زالت محرّمة من يوم خلق الله السماوات والأرض، وقيل: ما زالت حلالا كغيرها إلى زمن إبراهيم صلى الله عليه وسلم ثم ثبت لها التحريم من زمن إبراهيم، والقول الأول قال به الأكثرون، وأجابوا عن أدلة القول الثاني: بأن تحريمها كان ثابتًا من يوم خلق الله السماوات والأرض، ثم خفي تحريمها واستمر خفاؤه إلى زمن إبراهيم فأظهره وأشاعه لا أنه ابتدأه، ومن قال بالقول الثاني أجاب عن أدلة القول الأول: بأن معناه أن الله كتب في اللوح المحفوظ أو في غيره يوم خلق الله تعالى السماوات والأرض أن إبراهيم سيحرم مكة بأمر الله تعالى والله أعلم.(النووي,1987م.– ج9 ص,124). وقال ابن كثير بعد أن نقل القولين في المسألة، وبعد ترجيحه القول الأول قال: فإذا علم هذا فلا منافاة بين هذه الأحاديث الدالة على أن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض، وبين الأحاديث الدالة على أن إبراهيم عليه السلام حرمها؛ لأن إبراهيم بلّغ عن الله حكمه فيها وتحريمه إياها، وأنها لم تزل بلدًا حرامًا عند الله قبل بناء إبراهيم عليه السلام لها.(ابن كثير,1994م. ج1 ص ص229, 230).

8- **المسجد الحرام (مسجد الكعبة الشريفة) أفضل بقاع الأرض على الإطلاق** فكما جعل الله نبينا محمداً أفضل الرسل على الإطلاق، وفُضِّل في الأزمنة شهر رمضان على سائر السنة، وفُضِّل ليلة القدر على غيرها من الليالي؛ فقد جعل المسجد الحرام أفضل بقعة مكانية على الأرض لقوله صلى الله عليه وسلم عندما خرج منها إلى المدينة المنورة بعد الفتح مخاطباً مكة: «وَاللَّهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللهِ ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللهِ إِلَى اللهِ ، وَلَوْلاَ أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ» رواه الترمذي من حديث عبد الله بن عدي بن حمراء رضي الله عنه، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.(الترمذي,1417هـ. رقم الحديث, 3925) ورواه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمكة: «مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ ، وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ ، وَلَوْلاَ أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ» وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه. (الترمذي,1417هـ. رقم الحديث, 3926) وفي هذه الأحاديث دليل على أن مكّة خير أرض الله على الإطلاق وأحبّها إلى الله وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم، واستدل بها من قال: إن مكّة أفضل من المدينة، قال النووي: ومذهب الشافعي وجماهير العلماء: أن مكّة أفضل من المدينة، وأن مسجد مكّة أفضل من مسجد المدينة، وذهب مالك وأكثر المدنيين إلى أن المدينة أفضل من مكة، وأن مسجد المدينة أفضل من مسجد مكّة.(النووي, 1987م. ج9 ص, 164).قال الحافظ ابن حجر: والمشهور عن مالك وأكثر أصحابه تفضيل المدينة واستدلوا بقوله صلى الله عليه وسلم: ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة، مع قوله: موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها، قال ابن عبد البر: هذا استدلال بالخبر في غير ما ورد فيه، ولا يقاوم النص الوارد في فضل مكة. (ابن حجر, 1988م, ج3 ص,81).

وقال الملا علي القاري: وصح عن عمر رضي الله عنه – قال ابن حزم بسند كالشمس في الصحة – أنه قال: صلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، وصح عن عبد الله بن الزبير قال: الصلاة في المسجد الحرام تفضل على مسجد النبي بمائة ضعف، قال ابن عبد البر وابن حزم: فهذان صحابيان جليلان يقولان بفضل المسجد الحرام على مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، ولا مخالف لهما من الصحابة، فصار كالإجماع منهم في ذلك... ثم قال: وقد صح في فضيلة مكة أحاديث أيضا منها خبر: أنه عليه السلام قال لهم في حجة الوداع: «أي بلد

تعلمونه أعظم حرمة» ؟ قالوا: لا إلا بلدنا الحديث، وفي رواية: أن ابن عمر وجابرا يشهدان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل الناس: «أي بلد أعظم حرمة» ؟ فأجابوا بأنه مكة، وهذا إجماع من الصحابة أنها أفضل البلاد،وأقرّهم عليه الصلاة والسلام على ذلك.(القاري,1992م. ج2 ص587, 588). وجاء في الموسوعة الفقهية: ذهب الجمهور إلى تفضيل مكّة على المدينة وتفضيل المسجد الحرام على المسجد النّبويّ، وذهب الإمام مالك إلى تفضيل المدينة المنوّرة على مكّة المكرّمة ، وتفضيل المسجد النّبويّ على المسجد الحرام وهو قول عمر بن الخطّاب رضي الله عنه. (الموسوعة,2010م. ج36 ص,310). وقد استدلّ الجمهور على تفضيل مكّة وحرمها بأدلّة منها : ما ورد عن عبد الله بن عديّ بن حمراء رضي الله عنه قال : «رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفاً على الحزورة فقال : « والله إنّك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ، ولولا أنّي أُخرِجتُ منك ما خرجت » (الترمذي,1417هـ. رقم الحديث,3925). وعن عبد الله بن عبّاسٍ رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمكّة : «ما أطيبك من بلدٍ وأحبّك إليّ ولولا أنّ قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك »(الترمذي, 1417هـ. رقم الحديث,3926). فهذان الحديثان يدلان على تفضيل مكّة على سائر البلدان ومنها المدينة.(الموسوعة, 2010م. ج36 ص310,311). وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم قال:« صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاةٍ فيما سواه إلا المسجد الحرام » (البخاري, 1997م. رقم الحديث, 1190) ورواه ابن ماجة وزاد:«...وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه» (القزويني,(ب.ت).رقم الحديث ,1406) وهذا دليل على تفضيل المسجد الحرام بمكّة على المسجد النّبويّ الشّريف.(الموسوعة,2010م. ج36 ص,311). واستدلّ مالك بأدلّة في فضل المدينة منها:«إنّ الإيمان ليأرز إلى المدينة » (البخاري, 1997م. رقم الحديث, 1876) وأنّها القرية الّتي تأكل القرى «أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ الْقُرَى يَقُولُونَ يَثْرِبُ وَهِيَ الْمَدِينَةُ تَنْفِي النَّاسَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ»(البخاري, 1997م. رقم الحديث,1871) فإنّه يدل على زيادة فضل المدينة على غيرها، واستدلوا أيضًا بأنّ الله تعالى اختارها النبيّ صلى الله عليه وسلم وخلفائه الرّاشدين وفضلاء الصّحابة، ولا يختار لهم إلا أفضل البقاع.(الموسوعة,2010م. ج36 ص,311). وقد صرّح العلماءُ بأنّ الخلاف ليس في الكعبة المعظّمة، فإنّها أفضل من المدينة كلّها، إلا البقعة الّتي ضمّت أعضاء الجسد الشّريف للنّبيّ صلى الله عليه وسلم فهي محلّ خلاف. (الموسوعة, 2010م. ج36 ص,311). وذكر الشّربيني الخطيب أنّ القاضي عياض نقل الإجماع على أنّ موضع قبره صلى الله عليه وسلم أفضل الأرض، والخلاف فيما سواه. (الشربيني,(ب ت). ج1 ص,482). وقد سُئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن رَجُلين تجادلا، فقال أحدهما: إنّ تربةَ قبر محمد النبي صلى الله عليه و سلم أفضل من السموات والأرض، وقال الآخر: الكعبة أفضل، فمع من الصواب ؟ فأجاب: أمّا نفسُ محمد صلى الله عليه و سلم فَما خلَق الله خلقًا أكرم عليه منه، وأما نفسُ التراب فليس هو أفضل من الكعبة البيت الحرام، بل الكعبةُ أفضل منه، ولا يُعرف أحدٌ من العلماء فَضّل ترابَ القبر على الكعبة إلا القاضي عياضٌ، ولم يسبقه أحدٌ إليه، ولا وافقه أحدٌ عليه، والله أعلم. (ابن تيمية, 1995م. ج27 ص,38). وأرجح القولين في ذلك قول جمهور العلماء أن مكّة المكرّمة أفضل لعدّة وجوه: أحدُها: وجوب قصدها للحج والعمرة، وهذان الواجبان لا يقع مثلهما في المدينة. والوجه الثاني: إن فُضّلت المدينة بإقامة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها بعد النبوّة، كانت مكّة أفضل منها؛ لأنه صلى الله عليه وسلم أقام فيها بعد النبوّة ثلاثَ عشرةَ سنة، وأقام بالمدينة عشرا. والوجه الثالث: أن الله سبحانه وتعالى أوجب علينا استقبالها في الصلاة، ولم يوجب علينا مثل ذلك في المدينة. والوجه الرابع: إن الله حرّم مكة يومَ خلَق السماوات والأرض، فلم تحلّ لأحد من الأنبياء والرّسل إلا لنبيّنا ساعة من نهار. والوجه الخامس: الصلاة بمكة في المسجد الحرام تعدل مائة ألف صلاة، ولا يحصل هذا الفضل في المدينة المنورة.

9- **إن الله تعالى أمَرَ الناسَ أن يأتوا الكعبةَ المشرفة بحج أو عمرة** ؛ ليتشرّفوا بزيارتها، ويشهدوا منافع لهم، وجعل هذا الإتيان إليها فرضاً حتمًا على القادر المستطيع، فإن لم يأت فقد عصاه، قال الله تعالى **:**﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: 97] وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ ﴾] الحج **[28-27]**. وحج بيت الله الحرام أحد أركان الإسلام ومبانيه العظام، وهو من أفضل الطاعات وأجل القُرُبات التي تُبلغ إلى دار السلام، فقد ثبت في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: بُنِيَ الإسلام على خمس: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ.(البخاري, 1997م.

رقم الحديث, 7).فمن قصد الكعبة المعظّمة من الحجاج والمعتمرين إيماناً واحتساباً كان كفارة لذنوبه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « مَنْ أَتَى هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ ». (النيسابوري,1987م. رقم الحديث,1350). وروى مسلم من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه قال:..فَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ الإِسْلاَمَ فِى قَلْبِى أَتَيْتُ النَّبِىَّ –صلى الله عليه وسلم– فَقُلْتُ ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلأُبَايِعْكَ، فَبَسَطَ يَمِينَهُ قَالَ فَقَبَضْتُ يَدِى. قَالَ « مَا لَكَ يَا عَمْرُو ». قَالَ قُلْتُ أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ، قَالَ « تَشْتَرِطُ بِمَاذَا » قُلْتُ أَنْ يُغْفَرَ لِى، قَالَ « أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الإِسْلاَمَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ » (النيسابوري :1987م –رقم الحديث(336) وأخبر صلى الله عليه وسلم : أن الحج المبرور ليس له جزاء إلا الحنة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:« الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلاَّ الْجَنَّةُ » متفق عليه(البخاري, 1997م. رقم الحديث,1773) و(النيسابوري ,1987م.رقم الحديث ,3355).وقد ارتبطت هاتان الشعيرتان: الحج والعمرة بالبلد الحرام ارتباطاً كاملاً، بحيث لا يمكن الإتيان بهما إلاَّ فيه، بل ومناسك الحج والعمرة من الإحرام، والطواف، والسعي، والوقوف بعرفة، والإفاضة إلى المزدلفة، والمبيت في منى، ورمي الجمار... كلها لا يمكن الاتيان بها إلا في البلد الحرام والكعبة المشرفة، وفي ذلك الشرفُ والفضلُ وعلوُّ المنزلة لهذه البقعة المباركة على سائر بقاع الأرض.

10- **إن الله حمى الكعبة المشرفة من شر الأحباش،** حيث أقدم أبرهة على رأس الجيش الحبشي قاصداً مكة يريد هدمها فحمى الله الكعبة بأن أرسل الطير الأبابيل يحمل كل منها ثلاثة أحجار، حجر في منقاره، وحجران في رجليه أمثال الحمص والعدس، لا تصيب أحداً من جيش أبرهة إلا أهلكته؛ فهلك معظم جند أبرهة، أما أبرهة فقد مسه حجر فصرع، وظهر على جسمه بلاء عظيم، وأخذت أجزاء جسمه تتساقط حتى مات، وكان إخفاق حملة الفيل معجزة كبرى، وشاء الله أن يمعن في الانتقام من الأحباش لإقدامهم على محاولة هدم الكعبة فما لبث أن زال حكمهم من بلاد اليمن؛ فخلت الجزيرة العربية من آثار النفوذ الحبشي، وخلد القرآن الكريم هذا الحدث التاريخي الكبير، فنزلت فيه سورة خاصة هي سورة الفيل{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ*} (المباركفوري, 1996م. ص ص77 ,78). قال ابن كثير: هذه من النعم التي امتن الله بها على قريش فيما صرف عنهم من أصحاب الفيل، الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة ومحو أثرها من الوجود، فأبادهم الله، وأرغم آنافهم، وخيب سعيهم، وأضل عملهم، وردهم بشر خيبة، وكانوا قوما نصارى، وكان دينهم إذ ذاك أقرب حالا مما كان عليه قريش من عبادة الأوثان، ولكن كان هذا من باب الإرهاص والتوطئة لمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه في ذلك العام ولد على أشهر الأقوال، ولسان حال القدر يقول: لم ننصركم –يا معشر قريش–على الحبشة لخيريتكم عليهم، ولكن صيانة للبيت العتيق الذي سنشرفه ونعظمه ونوقره ببعثة النبي الأمي محمد، صلوات الله وسلامه عليه خاتم الأنبياء.(ابن كثير,1994م. ج4 ص ص711, 712).

خاتمة البحث

وفي ختام المقال أُحبّ أن أذكر أبرز نتائج البحث، وهي كالتالي:

– الكعبة المشرفة أول بيت وضع في الأرض لعبادة الله تبارك وتعالى.

– الكعبة المشرفة هي قبلة المسلمين في صلاتهم فلا تصح الصلاة إلا باستقبال القبلة، وعلى كل مسلم أن يتوجه في صلاته إليها، فهي جامعة لقلوب كل المسلمين، وموحِّدة لأنظارهم وتوجهاتهم.

- إن الله عز وجل أمر إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة و السلام بتطهير البيت، والقيام على خدمته ليكون موئلاً للطائفين والعاكفين، والركع السجود.

– إن الله تبارك تعالى أضاف البيت إلى نفسِه الشريفة تكريمًا وتعظيمًا لهذا البيت.

– الصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة صلاة فيما سواه من المساجد.

– مسجد الكعبة الشريفة أحد المساجد الثلاثة التي لا يجوز شدِّ الرِّحال إلا إليها.

– إن الله تعالى حرَّم مكة يوم خلق السماوات والأرض؛ تعظيمًا لِحُرمة بيته الذي ستضمُّه جنباتها.

– الكعبة الشريفة أفضل بقاع الأرض بإجماع المسلمين، وجماهير علماء المسلمين: على أن مكّة أفضل من المدينة، وأن مسجد مكّة أفضل من مسجد المدينة، وذهب مالك وأكثر المدنيين إلى أن المدينة المنورة أفضل من مكة المكرمة.

– إن الله تعالى أمَرَ الناسَ أن يأتوا الكعبةَ المشرفة بحج أو عمرة ؛ ليتشرَّفوا بزيارتها، ويشهدوا منافع لهم، وجعل هذا الإتيان إليها فرضاً حتمًا على القادر المستطيع.

– إن الله حمى الكعبة المشرفة من شر الأحباش، وأذاقهم العذاب الأليم.

شكر وتقدير

وفي ختام هذا المقال أحمد الله تعالى حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه وأثني عليه الخير كله على ما أنعم به عليّ من نعمه الكثيرة التي لا أحصيها، وأعظمها نعمة الإسلام، وسلك بي سبيل طلاب علوم الدين، وأعانني على القيام بهذا البحث وإتمامه، فلك الحمد سبحانك أولاً وآخراً ، وظاهراً وباطناً ، لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

وأثني بالشكر والتقدير لوالدي الكريمين – رحمهما الله تعالى وتجاوز عنهما – على ما بذلاه في تربيتي وتعليمي، فجزاهم الله عني خير الجزاء، وأحسن عاقبتهما في الدنيا والآخرة .

كما أتقدم بالشكر لكل من أعانني على إعداد هذا البحث بأي وجه كان ، وأسأل الله تعالى أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم .

والشكر موصول إلى فضيلة أعضاء لجنة التقييم لتفضلهم بقراءة البحث وإبداء الملحوظات والتوجيهات المفيدة حوله، فأسأل الله أن ينفع بعلمهم وأن يجزيهم بذلك خير الجزاء.

وأسأل الله جلا وعلا أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم , وذخراً لي يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بيانات متوفرة: البيانات المتوفرة التي تدعم نتائج هذه الدراسة متوفرة عند الطلب من المسؤول.

تناقض الأرباح: يقول الكاتب لا يوجد تناقضات مالية أو شخصية معروفة، ولكن العلاقات التي يبدو أنها تؤثر على المستخدم مذكور في المقال.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

1- ابن تيمية, شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحراني. (1995م). مجموع الفتاوى. المدينة المنورة, مجمع الملك فهد.

2- ابن حجر, شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني.(1994م). التلخيص الحبير. المدينة المنورة, الحجاز.

3- ابن حجر, شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني. (1988م). فتح الباري. القاهرة , دار الريان للتراث.

4- ابن عابدين, خاتمة المحققين محمد أمين الشهير بابن عابدين.(1966م). ردّ المحتار. مكة المكرمة, المكتبة التجارية.

5- ابن كثير, عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقى. (1994م). تفسير القرآن العظيم، بيروت, دار ابن كثير.

6- البخاري, أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري الجعفي. (1997م). صحيح البخاري. الرياض , دار السلام.

7- الترمذي, محمد بن عيسى بن سورة الترمذي. (1417هـ). سنن الترمذي، الرياض, مكتبة المعارف.

8- السجستاني, أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني. (1417هـ). سنن أبي داود، الرياض, مكتبة المعارف.

9- الشربيني, الشيخ محمد الشربيني الخطيب. (ب ت). مغني المحتاج، بيروت, دار إحياء التراث العربي.

10- القاري, علي بن سلطان محمد الهروي المعروف بالملا علي القاري. (1992م). مرقاة المفاتيح، بيروت, دار الفكر.

11- القرطبي, أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي. (2006م). تفسير القرطبي، بيروت, مؤسسة الرسالة.

12- القزويني, الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني. (ب ت). سنن ابن ماجة، القاهرة, دار الحديث.

13- المباركفوري, صفي الرحمن عبد الله المباركفوري. (1996م). الرحيق المختوم. كراتشي, دار الكتاب والسنة.
14- الموسوعة, وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية. (2010م). الموسوعة الفقهية. كويت, وزارة الوقاف.
15- النووي, محيي الدين أبو زكريا يحي بن شرف النووي. (1987م). شرح صحيح مسلم. القاهرة, دار الريان.
16- النيسابوري, مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري. (1987م). صحيح مسلم، القاهرة , دار الريان.
17- الهيثمي, نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي. (1988م). مجمع الزوائد، بيروت , دار الكتب العلمية